



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل / كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدِيْنَ

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الموصل

ملحق

العدد الرابع والثمانين / السنة الواحدة والخمسون

رَجَب - ١٤٤٢ هـ / آذار ١١ / ٣ / ٢٠٢١ م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

للتواصل:

radab.mosuljournals@gmail.com

URL: <https://radab.mosuljournals.com>

المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية
باللغة العربية واللغات الأجنبية

ملحق العدد: الرابع والثمانين السنة: الواحدة والخمسون رجب - ١٤٤٢هـ / آذار ٢٠٢١م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير:

| | |
|---|---|
| الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب | (علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق |
| الأستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي | (علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الأنبار/ العراق |
| الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن | (الترجمة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق |
| الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرابية | (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الزيتونة/ الأردن |
| الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني | (التاريخ) كلية التربية/ جامعة بابل/ العراق |
| الأستاذ الدكتور كلود فيننثر | (اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلبي/ فرنسا |
| الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار | (التاريخ) كلية العلوم والآداب/ جامعة طيبة/ السعودية |
| الأستاذ الدكتور نايف محمد شبيب | (التاريخ) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق |
| الأستاذ الدكتور سوزان يوسف أحمد | (الإعلام) كلية الآداب/ جامعة عين شمس/ مصر |
| الأستاذ الدكتور عائشة كول جلب أوغلو | (اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/ جامعة حاجت تبه/ تركيا |
| الأستاذ الدكتور غادة عبدالمنعم محمد موسى | (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الإسكندرية |
| الأستاذ الدكتور وفاء عبداللطيف عبد العالي | (اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق |
| الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز | (الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة |
| الأستاذ المساعد الدكتور أسماء سعود إدهام | (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق |
| المدرس الدكتور هجران عبدالإله أحمد | (الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق |

سكرتارية التحرير:

| | |
|---|-------------------------------|
| التقويم اللغوي: أ.د. لقمان عبدالكريم ناصر | - مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية |
| أ.م.د. أسماء سعود إدهام | - مقوم لغوي/ اللغة العربية |
| المتابعة: مترجم. إيمان جرجيس أمين | - إدارة المتابعة |
| مترجم. نجلاء أحمد حسين | - إدارة المتابعة |

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:

<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=signup> .

٢- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سجّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:

<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=login> .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلق به وبحثه ويمكنه الاطلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

• تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦ / المتن: بحرف ١٤ / الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورتات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذكر آنفًا .

• تُرتّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة. ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).

• يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

• يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .

• يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .

• يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبين على النحو الآتي :

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنونها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليّة البحث) .

• يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثية أو فرضيات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلّها أو دحضها علمياً في متن البحث .

• يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأن يحدّد الغرض من تطبيقها.

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .

• يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتبع فيه .

• يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره و فقراته.

• يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحدّاتة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.

• يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكرية ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير فافتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتويات

| الصفحة | العنوان |
|--|---|
| بحوث اللغة العربية | |
| ٥٠ - ١ | أبو عبد الله الحُمَيْدي وكتابه جَدْوَةُ الْمُقْتَبِسِ أ.د. حازم عبد الله خضر |
| ٨٨ - ٥١ | القيم الخلقية في شعر النمر بن تولب م.م. طارق محمد امين عبدالله الامام و أ.د. ابراهيم محمد محمود الحمداني |
| ١٠٦ - ٨٩ | أثر عقدة النقص في شعر بشار بن برد أ.د. منتصر عبد القادر الغضنفرى و أحمد عبد الوهاب حيو |
| ١٢٤ - ١٠٧ | الذاكرة في رواية أحفاد أورشناي لهيثم بهنام بردى م.د. جمان فيصل خليل و أ.د. فيصل غازي النعيبي |
| ١٥٤ - ١٢٥ | التصحیحات النحویة للعکبری في كتابه "التبيان في إعراب القرآن" أ.م.د. سعد محمد أحمد |
| ٢٠٠ - ١٥٥ | الصفات البشرية المعنوية السلبية في القرآن المجيد . دراسة دلالية . أ.م.د. صلاح الدين سليم محمد أحمد |
| ٢٢٤ - ٢٠١ | الغزل والغزل المكثى في شعر حميد بن ثور الهلالي أ.م.د. رافعة سعيد السراج و أ.م.د. إيمان خليفة حامد |
| ٢٥٤ - ٢٤٥ | العنوان ومقصدية الاختيار أ.م.د. غانم صالح سلطان و مشعل عايد دبي |
| ٢٩٢ - ٢٥٥ | الاقْتِرَاضُ اللُّغَوِيُّ فِي مُعْجَمِ مَقَابِيسِ اللُّغَةِ لِأَحْمَدَ بْنِ فَارِسٍ (ت ٣٩٥هـ) م.د. حَكِيمُ عَبْدِ النَّبِيِّ حَسَنُ إِبْرَاهِيمِ |
| ٣١٢ - ٢٩٣ | فاعليّة المتخيل العجائبي في رواية (أبناء السيدة حياة) للكاتب حسين رحيم م.د. محمد حميد بلال |
| ٣٤٢ - ٣١٣ | اللّسانيات العربيّة عند تمام حسان بين التّأصيل والحداثة . المستوى الصّوتي أنموذجًا . د. سميرة عبدالمالك و د.نادية شارف |
| بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية | |
| ٣٦٨ - ٣٤٣ | أوضاع التعليم الرسمي في كركوك ١٨٧٠-١٩١٤ أ.م.د. لمى عبد العزيز مصطفى |
| ٣٩٦ - ٣٦٩ | إسهامات المرأة في بناء الأربطة في مدينتي بغداد ومكّة المكرّمة في العهد العباسي المتأخر (٤٤٧ - ٦٥٦هـ / ١٠٥٥ - ١٢٥٨م) م.د. شهلة برهان عبدالله |
| ٤١٦ - ٣٩٧ | عساكر السكبان ودورهم في بلاد الشام ١٥٩٥-١٦٣٥م م.د. أحمد محمد نوري أحمد العالم |
| بحوث الفلسفة | |
| ٤٥٢ - ٤١٧ | نظرية المعرفة عند لايبنتز أ.م.د. زياد كمال مصطفى |
| ٥٠٦ - ٤٥٣ | الهيرمينوطيقا من التأويل إلى التحريف دراسة أصولية م.د. نور الدين جميل عبد القادر التاوطوزي |

بحوث علم الاجتماع

| | |
|-----------|---|
| ٥٣٢ - ٥٠٧ | الحكايات الشعبية ودورها في تنمية الطفل اجتماعيًا دراسة تحليلية للحكاية الشعبية الموصلية أ.م. نجلاء عادل حامد |
| ٥٧٤ - ٥٣٣ | تمثيل المرأة في الوظائف القيادية بين التحديات واليات التمكين ((دراسة ميدانية في مدينة الموصل)) م.م نور يحيى يوسف |

بحوث المعلومات والمكتبات

| | |
|-----------|--|
| ٦١٤ - ٥٧٥ | قواعد الفهرسة ومدى تأثرها بتطورات الضبط الببليوغرافي ومعايير المبتاداتا أ.م. رفل نزار عبد القادر الخيرو |
|-----------|--|

بحوث علم النفس التربوي وطرائق التدريس

| | |
|-----------|--|
| ٦٦٠ - ٦١٥ | أثر استخدام أسلوب تحليل النصّ في تحصيل طالبات الصف الثاني المتوسط في مادة القرآن الكريم والتربية الإسلاميّة أ.م. خولة احمد محمد سعيد البريفكاني ونعم محمد باسل قاسم العزاوي |
| ٦٨٦ - ٦٦١ | أثر استراتيجيّة (Swom) في تحصيل طلبة الصفّ الرابع العِلْمِيّ في مادّة قَوَاعِدِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ م.د.شهاب أحمد حنش |
| ٧١٠ - ٦٨٧ | الرضا الوظيفي لدى مديري المدارس الإعدادية في محافظة دهوك - قضاء عقرة م.م. وعد سعيد طه و م.م. شوّاف محمد مصطفى |

بحوث الآثار والدراسات المسماوية

| | |
|-----------|---|
| ٧٢٨ - ٧١١ | أسباب الأمراض وطرائق معالجتها عند المصريين القدماء دراسة مقارنة مع العراق القديم أ.د. عبد الرحمن يونس عبد الرحمن |
|-----------|---|

بحوث الشريعة الإسلاميّة وأصول الفقه

| | |
|-----------|---|
| ٧٥٠ - ٧٢٩ | أهداف الحوار عند اليهود مع الرسول (ﷺ) أ.م. د.ظفر عبد الرزاق ذنون و م.م. وعد الله صالح جاسم |
| ٨٠٤ - ٧٥١ | حكم التعامل بالعملات الإلكترونية وضوابطه الشرعية أ.م.د. محمود محمد علي الزمناكوي |
| ٨٢٤ - ٨٠٥ | الإبادة الجماعيّة من منظور القرآن الكريم والكتاب المقدّس م.د.نذير سعيد مصطفى و م.د.عبد الحق هنر عوني |
| ٨٧٠ - ٨٢٥ | آراء العلماء في التفرق المقصود في خيار المجلس وتطبيقاته الفقهية (دراسة مقارنة) م.د. جمال عزيز أمين |

فاعلية التخيل العجائبي

في رواية (أبناء السيدة حياة) للكاتب حسين رحيم

م.د. محمد حميد بلال *

تأريخ القبول: ٢٠١٩/١٠/١٥

تأريخ التقديم: ٢٠١٩/٩/١٦

المستخلص:

لقد عرفنا العجائبية لغة واصطلاحاً، وحضورها في المعاجم العربية، وبعدها عرفنا الفاعلية بالمفهوم الحديث، أما مضمون البحث فتركز على معالجة فاعلية العجائبي وانفتاحه على الفضاء الروائي الذي توزع بين عنصر المكان والحدث، وبين اللغة التي تفاعلت بالتراث الشعبي وبالمظاهر الملحمية والأسطورية، التي تدفع بالقارئ إلى الاندهاش والتعجب، ومن جانب آخر نجد أثر التخيل العجائبي في البناء السردى الذي يفتح بين العجيب الحكائي، والعجيب الخرافي في النص الروائي، كما يسلط الضوء على فلسفة التعامل النفسى الذي استثمره الكاتب في الرواية، بوصفه ثيمة أسطورية لها فاعلية المغايرة في فهم الأشياء التي يندرج تحتها الغريب بين الواقعي وفوق الطبيعي (الفانتاستيكي) والماورائي (التخيل).

وإلى جانب عجائبية فضاء التخيل السردى نجد أنها شكّلت مظهراً من مظاهر البناء الفنى القصصى بوصفها نوعاً من الكتابة السردية ذات خصائص فنية، تجمع الخيال والمهارة في بناء يجاوز المعقول والمنطق الى الخوارق بحرية الفكر إلى إنتاج نص أدبي يعمل على جذب القارئ لقراءة النص والتلهم لمعرفته. الكلمات المفتاحية: أسطورة، سياقات، علمي، واقعي .

المقدمة:

يقوم البحث على دراسة الأدب العجائبي بناءً وتحليلاً وفاعليةً في رواية (أبناء السيدة حياة) للكاتب حسين رحيم، ومن خلال هذه الدراسة نجد الكاتب قد استحضّر حياة

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/ جامعة الموصل .

المدينة وقدمها بصورة مشاهد واقعية ليقربها إلى الأذهان بطابع أسطوري مضيفاً إليها ظلالاً عجائبية تفوق التصور العقلي. يجعلنا نجمع بين المتضادات الواقعية؛ مما كون حالة عجائبية سحرية تستدعي المتلقي إلى عالمها الخاص والخوض فيه، لذا كان الاهتمام بالعجائبية ليس كبناء سردي قائم على الحكاية الشعبية أو الخرافة أو السيرة الشعبية أو القصص الديني فقط ولكن بكيفية اشتغال الجنس العجائبي، لتوجيه الغاية إلى المعاني والدلالات العالية التي يقدمها السرد الروائي في العجائبي.

كما يسعى البحث إلى الوقوف على الجانب النفسي الذي يؤثر فيه العجائبي على الشخصية القصصية، ويمكننا أن نتبنى تعريفاً منهجياً (للعجائبية): كونها " نوع من الأدب الميتافيزيقي الذي ينطوي تحت عنوانه عدد من الأنواع الأدبية الأخرى، مثل: الحكاية، الخرافة، والأسطورة" (١) وأيضاً تتعدد موضوعاتها حمل (الشياطين، والموت، والعالم السفلي، والسحر، . . .) ونجد أن أحداثها تدور في أماكن مهجورة وصحاري، وغابات ومدن قديمة، ومنازل مهدمة يمتزج ذلك في سياق الحدث الذي يؤثر على التخيل النبوي للقص:

أولاً: الفاعلية تعني بالمفهوم النقدي الحديث: " مقدار التغلغل في المسافة السردية للدوال وهي قدرة الإنتاج بأقل مجهود من الألفاظ" (٢).

ثانياً: العجائبية لغة واصطلاحاً:

في المعاجم العربية: نجد الجذر اللغوي للعجيب (ع ج ب) يحيل إلى مشتقات ذات دلالات متعددة منها (عجب، عجب) " وتقول من باب العجب: عجب يعجب عجباً، وأمر عجب وذلك إذا استكبر واستعظم: وزعم الخليل أن بين العجيب والعجاب فرقاً فأما العجاب والعجيبُ مثله [فالأمر يتعجب منه]، أما العجاب فالذي تجاوز حدَّ العجيب" (٣) (والعجيب): " إنكار ما يرد عليك واستطرافه وروعة تعتري الانسان عند

١ - الرواية العجائبية، محمد عزام، مجلة المعرفة - سوريا، عدد ٤٣٦ - يناير ٢٠٠٠م، ص ١٥٨ .

٢ - معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار سوشيريس، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥، ص ١٧٠.

٣ - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/ ٢٤٣، مادة (عجب).

استعظام الشيء (والتعجب) : انفعال نفسي عمًا خفي سببه (١) " وانكار ما يرد عليك لقلّة اعتياده" (٢)، والحبيب عند الإنسان ما يخالف المألوف ويخرج عن الفهم ويثير الاستغراب.

وفي المفهوم الغربي الحديث (العجائبية) هي (fantastique) وقد لا تختلف كثيراً عن المفاهيم العربية، فعرف (تودوروف) (العجائبي) بأنه " حدوث أحداث طبيعية وبروز ظواهر غير طبيعية خارقة تنتهي بتفسير فوق طبيعي (٣)، وفي سياق آخر يسمي (محمد اركون) العجائبي " بأنه ليس سوى امتياز مؤقت لاستحضارات خيالية" (٤) فهذا المفهوم يطلق على اللاعقلاني والمدهش والغريب والخيالي والخارق والخرافي .. وعليه يمكن للمتلقي إعادة تفسيرها وفقاً لتصوره العقلي في التعامل مع الأحداث.

ثالثاً: العجائبية اصطلاحاً:

هي تخييل يجمع بين عالمي الواقع وللواقع - غير المألوف - يبعث على الدهشة مثل الخارق للعادة، والمعجزة، والكرامة، وقد عرفه (القزويني): " بالحيرة التي تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه" (٥). والحقيقة أن العجائبية لها تأثير نفسي على المتلقي، وقد عرّج الجرجاني على العجائبية في مدار حديثه عن الاستعارة والمجاز بقوله: " معلوم أن القصد أن يُخرج السامعين إلى التعجب ولم تجر العادة به، ولم يتحرر للتعجب معناه الذي عناه، ولا تظهر صورته على

١ - محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان- بيروت، ط/ ١٩٨٧، ص ٥٧٦ .

٢ - لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت - لبنان، ط٦، ٢٠٠٨، مجلد ١٠، ص ٣٨ (مادة عجب).

٣ - بنيات العجائبي في الرواية العربية، شعيب حليفي، مجلة فصول، ١٩٩٧ القاهرة، مجلد ١٦، جزء ١، عدد ٣، ص ١١٤ .

٤ - المصدر نفسه، ص ١١٤ .

٥ - عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، زكريا بن محمد القزويني، ط٥، مصر - مكتبة البابي الحلبي، ص٥.

وصفها الخاص" (١) والقصد من العجائبية هو اخراج المتلقي، سواءً أكان ناظراً، أم سامعاً، من دائرة الفهم فكلما صعب الفهم والإدراك كأن القصد إلى العجائبية أقرب، وبهذا " يجعل العجائبي يتحقق على قاعدة الحيرة أو التردد المشترك بين الفاعل (الشخصية) والقارئ حيال ما يتلقيناه، إذ عليهما أن يقررا ما إذا كان يتصل بالواقع أم لا كما هو في الوعي المشترك" (٢).

والعجائبي كمصطلح هو الفانتاستيكي أو (Fantastique) في الإنكليزية، "والعجيب هو ما يرد في نص قصصي من أحداث أو ظواهر خارقة لا يمكن تفسيرها عقلياً" (٣) لقد استعمل تودوروف في إطار حديثه عن الفانتاستيكي، هذا المصطلح ليوضح به الشخصية، إزاء الظاهرة الخارقة والخروج عن المألوف والانزياح عن قواعد العقل والتصديق.

ورواية (أبناء السيدة حياة) لحسين رحيم بُنيت على سرد خيالي يتمازج فيه الواقع واللاواقع في الزمان والمكان والحدث، وأما لغة الرواية فصاغها بطريقة عجائبية تسهم في تضديد البنية القصصية والتوليد الدلالي، فعالم الرواية ذو بناء فني متكامل، إذ يتجاوز الراوي الواقع من خلال سرد حكايات يعجز المتلقي عن تصورها، وهذا ما سوف نقدمه في البحث بالتفصيل.

المبحث الأول: الفضاء العجائبي

المكان العجائبي:

إن المكان هو المجال الذي تعيش فيه كل عناصر الرواية من حدث وشخصيات وزمان، فاعتبارات المكان للواقع البشري يعكس إلى الواقع الروائي وفلسفة المكان لها أبعاد تفوق غاية العيش بل تتعداها بوصفها أيضاً "مقوماً أساسياً في تشكيل المنظومة

١ - أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط ٣، ٢٠٠١، ص ٢٢٦.

٢ - السرد العربي مفاهيم وتجليات، سعيد يقطين، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٢٦٧.

٣ - معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين، إشراف محمد القاضي، دار محمد علي- تونس، ط- ٢٠١٠، ص ٢٨٥.

المعرفية المعقدة للإنسان والتي يبني وعيه بها وتصوراته إزاء العالم الذي يقع فيه^(١)، فأهمية السرد ودوره مرتبط بالمكان الذي يشغل حيزاً في الفضاء الروائي، لا سيما العجيب من المكان ذي الدلالات العجيبة وابعاده الجغرافية غير المألوفة ومتخيلة مثل: الجبل الأزرق، المدن السفلى، والقرية التي عادت إلى أسفل الجبل، السماء تمطر جواهاً وياقوتاً أزرق، واهتزاز الأرض وتفتح الشقوق في قعر البركان وغيرها، كما نجد أمكنة واقعية مثل: الموصل، العراق، باب الطوب، الجسر العتيق وغيرها، فالرواية جمعت بين المكان الواقعي والمتخيل العجائبي التي لا وجود لها إلا في الرواية، أما البناء الفني لهذه الأمكنة فقد امتازت بالتماسك مع الأحداث والشخوص والانسجام الذي يشعرونا على أنها حقيقة وتوظيفها كأهداف مرسومة أو نوع من أنواع الخطاب الموجه.

الحدث العجائبي:

إن العلاقة بين الحدث والعجائبية علاقة تتعامل مع النفس الإنسانية بأسلوب أسطورة الحدث والابتعاد عن الواقع المؤلف بصيغ تعبيرية تتفاعل مع الإدراك الحسي للمتلقي وتحقق استحالة الحدث واتباعه، وهذا ما نسميه: (إثارة العجائبي) وسنحاول أن نوضح الحدث العجائبي وكيفية توظيفه في النص الروائي، "بصفته إدراكاً خاصاً لأحداث غريبة . . . وعندما يوصف حدث بأنه غريب، فإن النعت ينصب على فعل ذات طابع دلالي"^(٢) فتوظيف العجائبي يولد منظومة دلالية تدفع بالمتلقي إلى الاستطراد بعوالم الرواية كونه يترك ردة فعل تجاه العجيب من الحدث في النص السردي، وقد ركز عليها (تودوروف) على التردد (hesitation) بوصفها خاصية لازمة للعجائبية، والتوظيف العجائبي يمكن أن يكون "خطاباً فنياً لرؤية العالم بالتحويلات والمسوخ"^(٣) من خلال الرواية بوصفها نوعاً سردياً لصورة الحياة التي تبحث عن (المعنى) وعن (أهميته) في

١ - استعادة المكان دراسة في آليات السرد والتأويل، محمد مصطفى علي حسنين، دار الثقافة والأعلام - الشارقة، ص ٤.

٢ - مدخل إلى الأدب العجائبي، تزفيتان تودوروف، ترجمة الصديق بو علام، تقديم محمد برادة، دار الكلام، الرباط، ١٩٩٤، ص ١٢١.

٣ - بنيات العجائبي في الرواية العربية، شعيب حليفي، مجلة فصول، مج ١٦ - ع ٣ - ١٩٩٧، ص ١١٣.

الوجود، فالوظيفة الدلالية للعجائبية لا تستجيب للعلامة التداولية القائمة بين العلامات ومستخدميها.

ورواية (أبناء السيدة حياة) تبدأ اللحظة الأولى بمقطع سردي يصف مشهداً يخرج عن المألوف بقوله: استيقظ رعاة الماشية ذات صباح وهم على تلك الأكمة المطلّة على نهر دجلة من الجهة الغربية، من حافة المنحدر بشدة قرب أطلال لآثار لا يعرفون أصلها، فوجدوا سبعة بيوت من الحلان والمرمر متلاحمة مع بعضها . . تتساءل الرعاة من أين أنت؟! . . لقد جاءوا إلى هذا المكان مساءً، ولم تكن موجودة . . . أيعقل هذا؟! ... في ليلة تبني سبعة بيوت، وتخرج من جوف الأرض كفطر في غابة^(١)

نجد الحدث قائم على منظور خيالي لامس عقول الشخصيات فتفاعل الشخص مع الحدث العجائبي بوصفه قد كسر أفق توقعهم، متفاجئين بسبعة بيوت قد شيدت خلال ساعات أو جزء من اليوم، فتساءل الرعاة من منظر البيوت السبعة "متى بنيت؟" فحصل التردد والاندهاش العقلي، ولهذا المشهد وقع آثار لدى القارئ والشخصية الروائية رد فعل عجائبي، ومن جانب آخر فهو مرتبط بالعدد "سبعة" الذي له قدسية في التراث الشعبي المحلي وجزء من ثقافة البلدان.

فهيبة الحدث العجائبي إزداد رهبة باقتترانه بالعدد سبعة^(*)، الذي يشير إلى أسطورة متجذرة في الثقافة العربية ولها حضور عجائبي "وتعبر عن المعتقدات التي تحملها بين طياتها"^(٢).

عجائبية اللغة:

اللغة هي حاملة للأفكار ووسيلة تواصلٍ وتفاهمٍ تتباين مع صياغة الأسلوب والسياق مكونة جملًا زاخرة بالصور الخيالية، وهاته الصور من أهم مكونات البنية السردية

١ - أبناء السيدة حياة، حسين رحيم، رواية، ص ٥.

* - قد أفتنر بالتقافة الدينية الإسلامية، واقتترانه في التراث الحكائي الشعبي بوصفه جزء من الهوية الخاصة لذلك الشعب أو لتلك المدينة.

٢ - ينظر: العجائبي في الادب من منظور شعرية السرد، حسين علام، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٠، ص٥٣.

والعنصر المحرك للعوالم الروائية عبر وسائل لفظية وسياقات مباشرة وأخرى غير مباشرة، وبعبارة أخرى (تعايير انزياحية) وعبارات استعارية مجازية ميّزت النص الأدبي. تشكلت اللغة العجائبية على أساس تأثرها بالتراث الشعبي والمظاهر الملحمية والأسطورية، "والرواية تشترك مع الملحمة في طائفة من الخصائص؛ وذلك من حيث إنها تسرد أحداثاً تسعى لأن تمثل الحقيقة، وتعكس مواقف الانسان، وتجسد ما في العالم"^(١)، ومن ناحية أخرى فإن اللغة الروائية تتشكل باشتراكها مع الأجناس الأدبية لتأخذ زخماً في التعبير عن الأشياء والموضوعات.

وعليه تسعى الرواية إلى صياغة لغة تثير فضول المتلقي وتشده الى معرفة ما وراء القصد من العبارة الغريبة أو الكلمة أو حتى المثل، لذا فالبناء العجائبي للفظ هو " لقاء بين المؤلف واللامألوف، بين أدوات طبيعية وأخرى فوق طبيعية غيبية لإيجاد حالة من المزج بالواقعي"^(٢)، والارتباط بالرواية الحديثة والمعاصرة يدفع إلى " توليد دلالة جديدة، والاستفادة من التوظيفات المحلية للتاريخ والمأثورات الشعبية"^(٣) وفي البحث وجدنا من النادر لدى النقاد الوقوف عند اللغة العجائبية وتحولات السرد شكلاً ومعنى لأنه يتطلب الاستعانة بمصادر اللغة من ناحية الكلمة والجملة أو العبارة ومن ثم النص للوصول الى الخطاب.

نلاحظ التشكيل اللغوي هو المحرك للمكون الدلالي "ووسيلة المبدع في التعبير عن أفكاره ورواه، ذلك أن الأدب لا ينسج إلا باللغة، ولا ينهض بناء أجناسه إلا عليها"^(٤).

إمتلك الروائي (حسن رحيم) لغة خاصة به، ووفرة في المفردات، وأسلوباً أدبياً متقناً وقدرة على الابتكار والابداع من ذلك وصفه لزمان البدايات الأولى التي خلقت فيها

١ - في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة ٢٤٠، ١٩٩٨، ص ١٢.

٢ - بنيات العجائبي في الرواية العربية، ص ١١٧.

٣ - المصدر نفسه، ص ١١٤.

٤ - العجائبية في الرواية العربية ، نورة بنت ابراهيم العنزي، رسالة ماجستير، بإشراف د. أحمد حسن صبرة، قسم اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ص ٢١٧.

مدينة (الموصل) بقوله: " فزمن المدن الكبيرة الحبلى زمن شقي، مقاوح، أناني، مكابر، يجدد جلده كل عام كأفاعي الصحاري"^(١).

فالقراءة النقدية للنص تتوقف أمام الانزياح في المعاني باستخدام وصف الزمن بألفاظ شبيهة بجلد الأفاعي وهذا التشبيه اللغوي للأفعى يقدم صورة عجائبية كون الزمن لا ينسلخ، والتشبيه بالانسلاخ يعطي وقفة تصويرية لاستيعاب المشهد وتفسيره المقدم بأسلوب غير مباشر في معالجة الفكرة، تلك هي عملية تكوين الصورة في شكلها الطبيعي باستعمال اللفظ العجيب، الذي يمنح الرواية فنية مشوقة في سرد القصة وتكوين الصورة الأدبية، معتمداً على أسلوب التشبيه، فالكاتب هنا لا يقصد (الأفعى) و (الزمن) لا يكون شقياً إلى ذلك من الأوصاف.

فبلاغة تشبيه المدينة بالأفعى التي تجدد جلدها مثل الأفاعي هو " تقديم المتخيل في معرض اليقين"^(٢) فالأسلوب له دور في إيصال المعنى الذي يخرج من الأشياء الخفية أو غير المألوفة، " والتشبيه يولد من المبالغة ما لا يولّد الأسلوب العادي"،^(٣) فتشبيه المدينة بالمرأة الحامل لفرطها في العطاء ودليل قدرتها على التجدد والخلق وتشبيهها بجلد الأفعى فيه دليل على تطورها ونموها وتوسعها فيثبت المبالغة في الصفة التي تجمع بين المشبه والمشبه به وذلك بتشبيه (المدينة) بطرائق المبالغة في التشبيه. وفي إضافة أخرى على موضوع التشبيه العجيب ولغة النص لاستكمال بناء الصورة (للمدينة)، عرج الراوي على زمن المدينة بقوله:

"وتحفرف... تحفرف... شغل النمل... تسارع لا ينتهي، كولادة جبل من ثورة بركان، وولادة جزيرة من تراكم أشتات وأشلاء سفن كانت سيدة البحار في يوم ما، ومرجان من بقايا قيى، حافات المحيطات... تقشّر تلك المدينة طفولتها كثمرة نارنج من على ذلك الجسد ليولد عتيقاً"^(٤)

١ - الرواية، ص ٨.

٢ - الاعجاز البياني في ضوء النصوص القرآنية، محبوب الله سيف الرحمن، أطروحة دكتوراه، الجامعة القومية للغات الحديثة، كلية الدراسات التكاملية والبحث، إسلام آباد، ٢٠٠٨. ص ٨٠.

٣ - الرواية، ص ٨٤.

٤ - الرواية، ص ٨.

قدم الراوي حكاية لزمان المدينة بصورة عجائبية للمتلقي بأسلوب الوصف المحسوس واستعمل الفاظاً وعبارات منها: (ولادة جبل) و (ولادة جزيرة) و (تقشّر تلك المدينة طفولتها كثمرة نارنج)

فشبه حال زمن المدينة بأسلوب التشبيه المرسل وعبارات محسوسة لإصابة المعنى وإيصاله للمتلقي، وتكمن البراعة باستعمال التصوير والتمثيل العجيب كتفسير المدينة لطفولتها في العبارة المحسوسة، كما في تفسير فاكهة النارنج، فعجائية النص تنافي التقارب الزمني لولادة جبل أو جزيرة أو تقشير المدينة لطفولتها، وهنا يعود الاهتمام باللغة كوسيلة تعبيرية يعمل الراوي على أن يحرفها عن مسارها التقليدي اليومي، وهذا يعود إلى بلاغة التشبيه في اللغة، والتأثر بالثقافة الشعبية التي هي " انعكاس للأسلوب الذي يفكر الأشخاص به في ثقافة معينة، وفي فترة زمنية معينة، كما أنها هي التي توجه سلوك الأفراد أحكامهم واتجاهاتهم فيما يتصل بما هو مرغوب فيه أو مرغوب عنه" (١) لتحمل ملامح الهوية الثقافية في مجالات اللغة والسلوك.

كما نجد الانزياح في معنى الزمن يجعل اللغة ذات فهم مغاير للمألوف وأسلوب جمالي يسهم في لفت ذهن المتلقي، لقوله: " إنه زمن يسير متراجعاً عن طفولة المدينة ... إن زمن المدن يسير باتجاه عكسي، فهو يحمل كهولته مبكراً لتتراجع الأيام والأسابيع والأشهر والسنوات إلى ذلك العمر الخاص بتلك المدن ... العمر الوحشي والذي يسر إلى ما لانهاية" (٢) لقد تعددت استعمالات الزمن فالعجائبي وضح في سياق معنى الحكاية، فالزمن لا يسير باتجاه عكسي مثلما ذكر النص وإنما استخدم الانزياح في الأسلوب هو كناية عن التذكّر لنشأة المدينة وكأنما لها أصل من التراث الشعبي، " فهناك من جعل زمن قصته مفتوحاً على الماضي أو المستقبل، وهناك من أخذ ينتقل داخله

١ - ارتقاء القيم، عبد اللطيف محمد خليفة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٦٠ - أبريل ١٩٦٢، ص

١٤.

٢ - الرواية، ص ٨.

بدون حدود فاصلة فيه بين مختلف الأزمنة، وهذا ما يعرف بالسفر في الزمن^(١) وجعله بنية دينامية* امتلكت اللغة خاصية احتواء الفضاء الروائي بما يجمعه من عوالم.

المبحث الثاني:

بناء المتخيل العجائبي

ارتبط مصطلح العجيب بالثقافة الإنسانية عموماً، لما فيه من حضور متميز في الأدب والفن وقد ذكره النقاد القدامى في مؤلفاتهم أمثال (القزويني) و (الجرجاني) و (حازم القرطاجي) وجميعهم قد اتفقوا على وجود عنصر التخيل، الذي يرتبط بحركة النفس وانفعالاتها تجاه الصور البلاغية والأدبية وتأثرها بحركة الخيال النابع من النفس، والقضية الأخرى في العجيب ارتباطه بالمتلقي الذي بدوره هو من سيقراً القصة أو يسمعها ويحلل أحداثها وغاياتها.

وبهذا التأثير السيكولوجي على المتلقي نجد البعد العجائبي حاضراً في بناء التخيل السردي العربي القديم، ولاسيما في قصص (ألف ليلة وليلة) و (كليلة ودمنة) والحكايات الشعبية المسماة بالسير الشعبية، هذه الإسهامات الأدبية أصبح لها تأثير واضح على البناء القصصي العربي الحديث، أمثال (يحيى حقي) في (السلحفاة تطير) و حسين رحيم في (أبناء السيدة حياة)، وغيرهما... .

إن قراءة الخطاب العجائبي يكسبنا انطباعاتاً عن الإنسان بأنه ذو طبيعة تخيلية حاملة، والرواية تصور لنا عوالم من اللامعقول ولكنها تعوض عقدة النقص واشباع رغبات صعبة المنال، وفي العصر الحديث دخلت الحكايات العجائبية التمثيل السينمائي، وأفلام الأطفال، وحتى الغناء، مما أثار إيجاباً على تكوين الشخصية الإنسانية وطموحها نحو المستقبل وإيجاد الحلول للمشكلات؛ لذا نجد من يتخيل بأنه يحلم بحياة مثالية تجاوز الواقع، وفي ملحمة (الكامش) من التراث الأدبي وجدنا (البحث عن الخلود)، والسفر إلى المستقبل عبر آلة

١ - العجائبي في المخيال السردي في الف ليلة وليلة، سميرة بن جامع، رسالة ماجستير، بأشراف: د. صالح لمباركية، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، ص ٦٢.

* - هوية العلامات (في العتبات وبناء التأويل)، شعيب حليفي، دار الثقافة، الطبعة الأولى، دار الثقافة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، يناير ٢٠٠٥م، ص ٨٧.

الزمن، وهناك من يحلم بالدخول إلى بلاد الجان وقصورهم، والزواج من إحدى فتياتهم وركوب بساط الريح والحصول على العصى السحرية ومصباح علاء الدين...، " فالفن لا يعيش إلا على المتخيل" ^(١).

أشكال المتخيل:

أولاً- المتخيل البياني: قدم الراوي قصة المرأة الغربية بتصرفاتها وحديثها للأطفال، الذين انتابهم الهلع لسؤالها لهم " أتعرفون متى أموت؟ ... حين يعبر الجبل الأحمر مدينتي.. يصخب الأطفال .. ثم بإشارة من يدها تصرفهم" ^(٢).

فطلب السؤال يحدث وقفة سردية وزمنية، يستدعي القدرات العقلية المخزونة وللتهيؤ لسماع السؤال وعرض الإجابة من المرسل أو المتلقي، فالمفارقة أن المرأة هي من عرض السؤال وفي الوقت نفسه أجابت عليه، والأطفال مستمرون ناسطون إلى كلامها المبهم في ثلاثة أساليب بيانية.

١- الاستفهام، وهو من أساليب الإنشاء الطلبي للحصول على المعاني.

٢- الاستعارة المكنية التبعية ذات الطبيعة تخيليته لعدم تحققها بالواقع، لقلبه (حين يعبر الجبل الأحمر مدينتي) فاستعمال قرينة دلت على البشرية هي (يعبر).

٣- وجود كناية لونية، (فالأحمر) في النص له دلالة الحزن ولون الموت ومملوء بالدمار، فالمعنى المقصود للنص هو الموت البشع.

فتلك الأساليب عرضت حواراً نفسياً للمرأة ومصيرها المحتوم، أمام مجموعة من الأطفال لا يفهمون تلك المعاني، فقط استشعارهم لخطر الموقف وسماعهم لفظة موت أحمر الذي ادهشهم بالصخب.

وفي نص آخر إشارات نقدية تضمنت دلالات بيانية أسلوبية بسياق السرد العجائبي، قصة عن مدينة اجتاحتها الحرب: " جمع كبير في الساحة التي كانت طريقاً للسيارات قبل مجيء

^١ - قراءة في الخطاب العجائبي والغرائبي، خليل الموسى، الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب سورية، ٢٠١٤، العدد ٥١٣، ص ٤٣.

^٢ - الرواية، ص ١٠٣.

جيش الظلام، الذي جاءهم من بعيد حاملاً كل ظلمات التاريخ من أرض الدنيا كلها ثم صبه عليها دفعة واحدة وتحولت الآن إلى قلعة خانفة من السواتر الكونكريتية^(١).

البناء النصي يهتدي إلى خصوصية مدهشة بالتعبير، وبتجربة إنسانية قائمة على رؤية واقعية تجمع بين الحياة والموت، في مدينة أقبلت على الحرب، وربما التسليم باليأس تجاهها، وكأنّ القاص يصف لنا حال المدينة على لسان الراوي ويطلعنا على إشارات عجائبية كما أشار إلى ذلك في قوله: "جيش الظلام الذي جاءهم حاملاً كل ظلمات التاريخ من أرض الدنيا كلها"^(٢) وفي مقطع حكائي آخر يقول " كانت أسراب من الغربان وطيور الشجرس والزرزير تعبر سماء الساحة مغادرة نحو دفاء الجنوب ... وكان هناك جبل أحمر يتبعها، تتلوى قمته ويسير باتجاهها"^(٣) كما يضيف الراوي مسترسلاً على المشهد نفسه قائلاً: " فقد غضبت صحراء الجزيرة الغربية وقذفت المدينة من ترابها الأحمر مذكرة الدنيا بعطشها... (٤)

تسرد لنا النصوص الروائية صوراً عجائبية غير قابلة للفهم والإدراك الحسي، وإنما هي صورة استعارية ومجازية تسعى إلى القراءة المتجددة، إن تعددية المعنى بين الظاهر والباطن تدفعنا إلى غور نظام العلامات في بناء العجائبي، الذي هو عبارة عن تركيب وحدات لغوية وأساليب بيانية متعددة، " تحتل اللغة موقعاً بؤرياً في بناء العجيب وتوجيهه انطلاقاً من نسق الحوار أو المنولوج الاستيهامي، عبرهما يتنامى العجائبي ويحدد موقع الواقع، فهو بناء لغوي ولقاء بين المألوف واللامألوف، بين أدوات طبيعية وأخرى فوق طبيعية"^(٥).

النصوص التي ساقها الراوي (جيش الظلام - غضب الصحراء - الجبل الأحمر) أشبه بحكايات الرعب والتخويف خلقت علامات تعجبية تجمع بين الفرع والتشويق من تلك الحكايات جبل أحمر يلاحق أسراب الطيور المهاجرة وتتلوى قمته كلما سار باتجاهها، إنه تصوير فانتازي يعطي الحياة والحركة إلى الجبل الجامد ذي اللون (الأحمر) المخيف، في

١ - الرواية، ص ١٠٣.

٢ - الرواية ، ص ١٠٣.

٣ - الرواية، ص ١٠٣.

٤ - الرواية ، ص ١٠٣.

٥ - بنيات العجائبي في الرواية العربية، ص ١١٧.

صورتين الأولى الجبل الأحمر، والثانية الرمال الحمراء إلى تقذفها الصحراء الغربية، فالصورتان كناية عن الموت والدمار والخراب الذي يلاحق أحياء المدينة. إذاً العجائبية مفهوم مرتبط باللفظ والصورة، على اختلاف ما أشار إليه (تودوروف) إلى أن العجائبي فقط رهن بالخطاب البلاغي المتمثل باللغة أكثر مما هو بنية صورية^(١)، فالصورتان اللتان عرضناهما يمكن عددهما من أحد أساليب بناء السرد العجائبي والذي خرق الأسلوب التقليدي في الكتابة، هو أسلوب المجاز والرمزي، والأسلوب الفني الحكائي، الذي عدده نوعاً من بنى "الحكاية الخرافية والرحلة والسيرة الشعبية والحكاية الشطارية..."^(٢)، فالاختلاف في تحديد النوع السردى هو تداخل الأجناس في البنية السردية العجائبية الذي كان له حضور في عموم القصص لعلاقته بالحياة الإنسانية على رغم من الفارق، كما أن شخوصها لا يمكنهم العيش في عالمنا، وحوادثها لا تتطابق مع أحداثنا بل تهدف إلى تصوير علاقة الإنسان بالعالم المجهول المحيط بنا " فهو يؤثر في حياتنا اليومية، والاتصال به يولد في الإنسان تأملاً من نوع خاص، إنه يجذبنا إليه ولكنه يردنا عنه مرة أخرى، فالإنسان يشعر بعلاقة قهرية بينه وبين هذا العالم، فهو يثير خوفه منه وشوقه إليه في الوقت نفسه"^(٣).

إن التأثير النسبي المتبادل بين الإنسان والنص العجائبي _ بين الواقع والمخيال السردى _ يحدده البناء الفني للحكاية العجائبية وتشكل عناصرها في مستويات متعددة، فالنموذج العجائبي متفاعل في رواية (أبناء السيدة حياة) في العديد من النصوص وبأشكال تخيلية مختلفة.

نقرأ نصاً يتكلم عن حلم رجل طال به الصبر حتى فقد الأمل فيمن حوله بمشهد امرأة ذات أوصاف عجائبية تقود عربة طائرة فيها تسعة خيول نحو سماء المدينة... إلى أن استيقظ من نومه فوجد أبواب المدينة التسعة قد فتحت.

" تسعة خيول بلون أعمر .. مربوطة بشكيمة واحدة تركض في سماء الليل تسحب خلفها هبارية بغيارٍ أسود تقف على ظهورها امرأة بتسع أرجل .. امرأة .. خرب .. خاتون..

^١ - ينظر: مدخل إلى الأدب العجائبي، ص ٨٧.

^٢ - العجائبي في المخيال السردى في ألف ليلة وليلة، ص ٧٨.

^٣ - أشكال التعبير في الأدب الشعبي، نبيلة إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، ص ٦٢.

هيدكور .. تمسك مقود الشكيمة .. تطير وتضحك.. وتضحك وطيس من حباب وجراد
وصراصير ونمل أحمر يطير خلفها، مقلداً اياها في الضحك والرحيل من هناك ومن
بعيد سمع صرير وهمهمة وطرق وأصوات لأشياء قديمة تتحرك... لقد استيقظت موصل
وانبجست أبوابها التسع أخيراً^(١).

من خلال قراءة عناصر النص تملكني الوقوف على الجانب النفسي الذي يدفع بالعجب
بالشخصيات والفضاء الروائي وتفاعلهما نحو تحقق الحدث، فالشخصية هي المحور الأساس
للسرد والمحرك المسيطر على الفضاء الروائي، الذي يقوم على بناء الشخصية العجيبة
التمثلة بالمرأة صاحبة الأرجل التسعة التي تعني المدينة الحاملة بسكانها وكأنها عالم من
الجن والعمالقة، صورة عجيبة تتحمل تأويلات عديدة وخيول طائفة وحشرات منطائرة خلفها
إلى أن استيقظت المدينة على حلم سعيد الذي فتح أبوابها التسعة.

الوصف شكل من أشكال العجائبي في المخيال السردية الذي "يعمل على تبئير الإنسان
والمكان والزمان، ويتخذ من الاحلام والرؤى سبيلاً للبناء"^(٢) السردية.

كما سجل العجائبي حضوراً متفاعلاً في شخصية (المرأة ذات الأرجل التسعة) التي تعني
المدينة وأبوابها (والخيول الطائفة) رجالها ونساءها، وحتى (الحشرات والصراصير الطائفة) هم
الأطفال الحالمون بالخروج من تلك الأبواب وخلف تلك الخيول وكأننا في عالم يحمل أحداثاً
ووقائع غريبة مدهشة وساحرة بصورة امرأة ذات قدرات سجلت صورة عجائبية خارقة.

وفي تنوع آخر لوصف حكاية خيالية يلتقي فيها المؤلف باللامؤلف مثيرة لحيرة المتلقي
عبر الأحداث والشخصيات والفضاء المكاني، بحكاية (عقيق الجبل الأزرق) ليخرج بها الراوي
عن سياق السرد القصصي، يتلخص مضمونها بأنهم أقوام بشرتهم بيضاء من نور الشمس
يعيشون تحت جبل أزرق وفي أعلى الجبل فوهة بركانية يعيشون بقرىها أقوام الظلام لا
يظهرون تحت الشمس .

كانت هناك قرية تغفو أسفل جبل أزرق برأس مخروطي أسود وكان أبناء القرية يحملون
الصخور البراقة المرمية في دروب القرية على ظهور البغال صاعدين بها الجبل الأزرق
أثر نصيحة من حكيم القرية الذي تعدى المائة الثالثة، ورميها في منصر الجبل ...، وفي

١ - الرواية، ص ١١٠.

٢ - بنيات العجائبي في الرواية العربية، ص ١١٥.

تلك الليلة سمع أبناء القرية صدى سقوط شيء من أعلى الجبل المخروطي حين خرجوا رأوه كان يضيء وينطفئ وهو ينزل هاوياً حتى وصلهم...، فقرر أحد رجال القرية صعود الجبل الأزرق ليعرف مصدر هذا الساقط القريب.

عند الفجر صعد الرجل ... ثم عاد بعد يومين ليحدثهم عن أناس في كهف في أعلى الجبل لا يخرجون إلا ليلاً خوفاً على اجسامهم الظلامية التي تذيبها الشمس... وكان يحمل معه طفلاً أبيض ثم حكى لهم عن أم ولدت طفلاً مختلفاً عنهم وأعطته له.

أخذت امرأة عجوز الطفل الذي لم تكن تدري أنه نوع جديد من الظلاميين... ثم عبت بيتنا برائحة العقيق الأزرق بعد أيام كان صف طويل من أبناء القرية يريدون شم الطفل مستذكرين رائحة العقيق المغادر، فأحبوه وتمناه كل واحد منهم لنفسه، ... من أعلى الجبل كانت الأم تبكي بصمت وليدها البعيد ومعها يصعد دخان أسود يلتصق بسقف الكهف لقد برحها الشوق إلى ابنها الأبيض وإلى رائحته، لكن صباح اليوم الثاني رأى أبناء القرية علامات الذبول والانحلال على الطفل الذي أخذه المرأة العجوز إلى بيتها وفي الطريق وتحت وهج الشمس بدأ الطفل بالذوبان حتى لم يبق شيء في يديها فقط ضوء العقيق الذي انتشر بسرعة كبيرة صاعداً إلى أعلى الجبل الأزرق، شمّت الأم الحزينة الرائحة فعرفت أن ابنها ميت عندها أخذت بالبكاء الشديد ... لذلك قررت الانتقام من نساء القرية... فقصت خصلة من شعرها فرمته في ينبوع الماء فتحول إلى السواد، بعد أيام من تلك الليلة أخذت حوامل القرية بأسقاط أجنتهن بعد الأم شديدة... كان الرجال أكثر بكاءً من النساء ليصل نواحهم إلى أسماع سكرة الكهف مما جعل أم الوليد تبكي وهي نادمة على تسرعها ومخالفة أمر الله... فطلبت الرحمة من الله وأن تعود نسوة القرية كما كنّ فستجاب الله لدعائها.^(١)

لقد حقق حسين رحيم صورة للحكاية العجائبية المشوقة، لما فيها من ثراء دلالي ومعاني اجتماعية تربية كأنها حكاية من المأثور الشعبي، فتشكل البناء السردي على نوعين عجيبين من الجنس البشري كلاهما متحولان متناقضان على سبب ديمومة حياتهما.

الأول: أقوام تسكن أسفل الجبل أجسادهم من نور مضيء.

^١ - الرواية، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

الثاني: أقوام تسكن أعلى الجبل أجسادهم من ظلام لا يستطيعون مقاومة نور الشمس حتى لا تتلاشى أجسادهم.

هذا التقابل في اختلاف الطبيعة البشرية كَوْن بناءً سردياً عجائبياً كل له صورته التخيلية، ومن بين العجائب التي ساقها الكاتب حكاية الطفل الرضيع الذي يتلاشى ويذوب تحت أشعة الشمس ويتحول الى ضوء ورائحة، فهذه الحكاية تشبه إلى حد كبير أفلام الرعب السينمائية، ومن ثمّ نعدّه انعكاساً أو نوعاً من التأثير الواقعي الذي يلقي بظلاله على البنية السردية ونقل الشعور نحو المتخيل الحكائي، إن نوبان الطفل تحت أشعة الشمس يشكل لحظة رعب تتملك المشهد الروائي، و يستمر المشهد بصعود الحدث وتعقيده عندما تحول الطفل الى رائحة العقيق؛ تلك الرائحة تسللت إلى أم الطفل فقررت الانتقام بأسلوب يدعو الى بث الخوف، بطريقة غير مألوفة وذلك بقص خصلة من شعرها لترميها في ينبوع الماء الذي تشرب منه نساء القرية مما جعلهم يسقطون أجنحتهم، فالنص هنا بنى واقعاً نفسياً فيه عقاب جماعي وادّ خوفاً توزع على بيوت القرية.

فدلالة العجيب تكمن بالضد من إرادة الحكيم على أن يتوزع الطفل على كل أهل القرية إلا أن العقاب على الفاجعة توزع على بيوت القرية بالتساوي فكان بالضد منه، والحكاية تميزت بالتخييل العجائبي وصراع البقاء خوفاً من أن تموت الحياة في الحلم والواقع والمستقبل.

العجيب الحكائي:

لقد استمر الراوي في عرض الحدث العجائبي بطرائق متنوعة في السرد الفني والتشويق لبلوغ الامتاع والتسلية بمهارة صناعة السرد، ووضع القارئ أمام نصوص حكاية عجيبة تحاول القراءة إنتاج معناها بأسلوب السرد القصصي والراوي العليم بقوله:

" سأحكي لكم حكاية المارق والشيخ الأعمى، كان ذلك الثالث والأخير من أولاده مكملاً بذلك سلسلة لعنة الأعمى خادم الضريح في تلك المنطقة النائية، حين حل لص الماشية، ضيفاً عليه في ذلك المساء فوجده وأمامه كوز ماء وماعون فارغين: وعندما جلس أمامه بسمل الأعمى ومد يده فامتأ الكوز بماء رائق على الفور، والماعون بطعم شهوي ... أكلوا وشربوا ... والرجل مدهوش وسعيد بهذه الغنيمة ... فقد كان الماعون يمتلئ مجدداً حال

إفراغه ... صاح: كفى توقف عن إطعمامي فأنا لن أشبع ولن أسكت ... والأعمى ينظر إليه مبتسماً حتى غضب بشدة فأمسك بهما بالقبر بقوة ...^(١) .

يؤكد الراوي على عرض حكاية عجيبة أو عجائبية الحكاية، إذ تبدأ الحكاية بأسلوب اجتماعي تربوي بقوله: (حكاية المارق والشيخ الأعمى) ثم ينتقل إلى الحدث الشبيه بالسحر، هو الامتلاء التلقائي للطعام والشراب في الماعون والكوز بعد إفراغه أمام شيخ أعمى يوحي بإدراكه لما يدور من حوله كأنما يبصره.

إن حافز الحكاية هو الانتقام من اللص المارق وإحلال لعنة الشيخ الأعمى عليه وهذا ما يسمى "بالاتجاه التسجيلي"^(٢) للواقع بإسلوب فني مشوق لاستخلاص العبر من وراء سؤقُ الحدث، وهو ما يعرف بالبواعث الواقعية من توظيف الحكاية العجيبة^(٣).

ويستمر الراوي في استرسال ومتابعة حياة اللص التي حلت عليه لعنة الشيخ الأعمى بقوله: "لن يصل نسلك مبلغ الرجال أبداً"^(٤) بدأ الصراع يتشكل في الحكاية العجائبية بهذا التعقيب الأخير ... فدعوة الشيخ على اللص بقطع نسله كان لها وقع على تشكل صورة الصراع بين طرفين (لص الماشية) و (الأعمى)، فنرى الجانب النفسي المضطرب لدى اللص خوفاً منه أن تتحقق لعنة الأعمى، فبدأ الصراع النفسي يحدث عندما أحس بأنه فعل أمراً جليلاً بكسره الأقداح أمام الأعمى ثم نهض على عجاله وغادر، فالمشهد العجائبي ولد ردة فعل عند اللص جعله يترك مهنة السرقة، ويتزوج محاولاً نسيان الأمر وعدم التصديق حتى إذا أنجبت زوجته مولودها الأول ثم أصبح المولود فتى وسيماً لكنه أصيب بحمى وبيدأ بالهذيان ... فيموت، وقد تحققت العجائبية بتكرار موت المولود الثاني والثالث ليستمر الصراع بالصعود والتفاعل في هذه الحكاية العجيبة حتى يشنق اللص نفسه خوفاً على ابنه الوحيد من لعنة الأعمى، فيكبر الولد ثم يتزوج من غير معرفته بتوارثه لعنة الأعمى من أبيه بنص السارد" ويأتيهما طفل يكبر حتى الخامسة ثم يموت معيداً ذلك المشهد بحديثه، ويتكرر الأمر مع الثاني والثالث، لذلك يقرر الأب التوقف عن الأنجاب... بعدما سمع من أمه عن أبيه"^(٥).

١ - الرواية، ص ١٤ .

٢ - تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، إبراهيم السعافين، دار الرشيد، ١٩٨٠، ص ٨٤ .

٣ - ينظر: توظيف التراث في الرواية العربية، محمد رياض وتار، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص ١٠ .

٤ - الرواية، ص ١٤ .

٥ - الرواية، ص ١٤ - ١٥ .

نلاحظ أن الصراع النفسي الذي عاشه (الأب) قد تكرر عند الأبن، وهذا ما يسمى بتبدلات الصراع بسبب قوة محرّكة تسيطر على الحدث وهي قوة لعنة الأعمى على نسل عائلة اللص التي انتقلت من الأب إلى الإبن، في الحكاية العجائبية، وهذا شكل من الأشكال التي اتخذتها الحكاية، " وأن مبدأ وصفها يقوم على اختزال هذه القصة إلى وحدات صغيرة"^(١)، تقسم الحكاية إلى مشاهد منفصلة مثلما حدث في حكاية (الأب) الذي هو لص الماشية مع الشيخ الأعمى وبعدها انتقلت إلى حكاية (الإبن) مع أولاده في النتيجة نفسها لكلا الحكايتين، فالصراع النفسي تولد عند الأب ثم أنتقل إلى الإبن وسببه هو البحث عن حل أو مخرج لمصيبة أو مشكلة أو عقدة ما يجعل " العقل يصارع نفسه إذا كان لا يستطيع أن يسلم من التناقض عند نظره في بعض الموضوعات"^(٢) وهو ما أدى بالأب إلى الانتحار والخلص من ذلك النزاع النفسي الذي خرج عن المألوف والمتوقع الاجتماعي.

العجيب الخرافي:

إن توظيف الموروث الشعبي في محور القصة العجائبية يسلط الضوء على فلسفة التعامل النفسي مع الموروث الشعبي، وهذا الشعور النفسي لدى الشخص قد استثمره الراوي بقوله: "أحس الرعاة بالخوف ولم يقتربوا من البيوت وتظاهروا بعدم الانتباه إليها خصوصاً بعدما أخبرهم الرعاة عن ذلك الشيخ الذي مرّ بهم في ليلة نيسانية وقال لهم إن هذه التلة* تعيش أشهر حملها الأخيرة، وسيحين مخاضها قريباً . . . ستلد أبنيتها الحسناء (موصلياً)"^(٣).

هذا النص يتحدث عن مدينة مطلة على نهر دجلة اسمها (موصلياً) قدمها الراوي كشخصية طفلة رضيعة وأن أمها تلة جامدة، . . . تعطي وصفاً غريباً عجبياً يولد إحساساً بالخوف والرهبية مشهد سبعة بيوت ظهرت فجأة على تلة مطلة على نهر دجلة وهي قصة خرافية لها أصل من الموروث الحكائي المحلي، يدعو إلى الإحساس بالاندحاش بوصفه حدثاً لا معقول، ويمكن وصفه بالعجيب الخرافي الذي ينسحب إلى الأدب الشعبي النثري أو الحكائي التي

١ - عالم الرواية، رولان بورنوف وريال اوئيليه، ترجمة: نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، طبعة ١، ١٩٩١، ص ٣٩.

٢ - المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٧٥.

* - تلة : مكان مرتفع عن الارض لعدة أمتار.

٣ - الرواية ، ص.

تمثل المعتقدات الشعبية وهذا الشكل من البناء السردى يوقف الزمن في الإدراك الحسى بين المعقول الحسى واللامعقول الجامد.

وإثارة الإحساس بالتعجب ذات أهمية فنية وصورة من صور البناء السردى فى الرواية من جانب والجانب الآخر يحقق خصوصية من خصائص العجيب على هيمنة الحدث وإبرازه مما يؤدي إلى التقليل من أهمية الشخصية المذكورة، فضلاً عن اعتماد الروائي على "إثارة الانفعالات الحادة كالتوقع، والفرع، والخوف من أجل شد انتباه القارئ، وضمان متعته الفنية"^(١).

الخاتمة :

بعد دراسة فاعلية المتخيل العجائبي فى رواية (أبناء السيدة حياة) من خلال بناء الحكاية الشعبية والخرافة والسيرة والقصص الدينى، ضمت شخصاً وأحداثاً تثير الدهشة ولا تقبل التفسير، كما وكشفت عن ردود أفعال نفسية لدى المتلقى حاولنا رصدها وتحليلها ثم التوصل إلى نتائج عدة:

١- الرواية سردت لنا حكايات عجائبية تضم أحداثاً وامكنةً وشخصاً بمسمياتٍ من الواقع المعاش، بحيث يخرج الفعل العجائبي ممتزجاً بين الواقع والمتخيل أو من المعقول واللامعقول.

٢- التوظيف العجائبي للمكان والزمان والحدث فضلاً عن اللغة وُلدَ عند المتلقى (إثارة العجائبي) يمكن أن يعمل بوصفه مصطلحاً نقدياً يحصل معه (التردد والإندهاش العقلي).

٣- العجائبية الروائية فى الامكنة والاحداث، تمثلت فى عجائبية الظهور وفجائية الاختفاء، مما تتطلب تفسيراً منطقياً لهما وأدراك عوالمها الغريبة، التى عادةً ما تكون قريبة من الاساطير.

٤- رصد البحث عجائبية الزمن وتشكله السردى بواسطة الإنزياح مما يشكل صوراً عجائبية بتفاعل المعنى مع الزمن مثل: (العمر الوحشى) و(السفر بالزمن) أو (ولادة جبل) فكلها تشبيهات تعطي وقفة زمنية تصويرية وارتدادية.

٥- يمتلك العجائبي مساحة واسعة لغرض بناء التشكيل السردى فضلاً عن ارتباطه بالطبيعة التخيلية الحاملة للإنسان.

^١ - بناء الرواية، أدوين موير، ت: إبراهيم الصوفي، ص ١٣ .

٦- إن بناء المتخيل العجائبي يتحدد على قسمين:
الأول شكلي: يعتمد أساليب بيانية في الاستفهام، أو الإستعارة أو الكناية، ليحقق الإنزياح
والبعد الجمالي.
الثاني نصي: يعتمد على أساليب لغوية ودلالية ليحقق البعد التركيبي وبناء فاعلية اللفظ
العجيب.

The Effectiveness of Imaginary Imagination In the novel "Sons of Mrs. Hayat" by the writer Hussein Rahim

Lect.Dr. Mohammed Hamid Bilal

Abstract:

The content of the research focuses on the treatment of the effectiveness of the miracle and its openness to the novel space. which is distributed between the elements of the place and the event and the language that interacted with the folklore and the epic and legendary manifestations, Which gives the reader to the astonishment Exclamation, on the other hand, we find the effect of the imaginary imagination in the narrative construction that opens up between the wondrous and the wondrous and the legendary in the novel text. It also sheds light on the philosophy of psychological manipulation that the writer invested in the novel. as a mythical mantle that has the effect of contradicting the things that fall under it. the strange, the real, the phantastic, and the imaginary.

In addition to the wondrous space of the narrator's imagination it is a form of narrative artistic construction as a kind of narrative writing with artistic characteristics, combining imagination and skill in building beyond logic and logic to the paranormal of freedom of thought to produce a literary text that draws the reader to read the text and the eagerness to know it.

Keywords: myth, contexts, scientific, real.